الخصائص الفنية لقصيدة الومضة في التجربة الشعرية العراقية الحديثة

م. م أنور خضير خلف مناتي الفرطوسي
مديرية تربية ميسان- إعدادية كميت للبنين
anwar94kh@gmail.com
م. م محمد علي خلف هاشم الموسوي
مديرية تربية ميسان - متوسطة الرازي للبنين
mohalmosoy50@gmail.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة الخصائص الفنية لقصيدة الومضة في التجربة الشعرية العراقية الحديثة، مركزة على تحليل عناصرها اللغوية والأسلوبية، وتقنيات الإيحاء والمفارقة والتكثيف، فضلاً عن العلاقة التفاعلية بين الشاعر والمتلقي. وتشير الدراسة إلى أن قصيدة الومضة تمثل امتدادًا لتجارب الشعر العربي الحديث، متأثرة بفنون أدبية شرقية وغربية مثل الهايكو والأبيجراما، وقد اعتمدت على التكثيف اللغوي والتركيز على اللحظة الشعورية الواحدة، مما منحها القدرة على إدهاش القارئ وتحفيز التأويل الذهني للنص. كما تتضح في النصوص العراقية الحديثة، وخاصة أعمال أحمد مطر وفرج الحطّاب ونجاة عبد الله، استخدام المفارقات، والانزياحات الدلالية، والعبارات المكثفة، والختام المفاجئ، وهو ما يجعل من قصيدة الومضة فنا شعريًا مستقلًا ومميزًا عن القصيدة التقليدية. تُبرز الدراسة أن هذا النمط الشعري يعكس التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاشها العراق منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، مع إيلاء اهتمام خاص بالتعبير عن تجربة الفرد والمجتمع في ظل ظروف التغير والاضطراب.

الكلمات المفتاحية: قصيدة الومضة؛ الشعر العراقي الحديث؛ الخصائص الفنية؛ التكثيف اللغوي؛ المفارقة؛ الإيحاء الشعوري

The Artistic Characteristics of the Flash Poem in the Modern Iraqi Poetic Experience

First Researcher:
M.A Anwar Khudair Khalaf Manati Al-Fartousi
Kumeit Secondary School for Boys – Directorate of Education of Maysan
anwar94kh@gmail.com
Second Researcher
M.A Mohammed Ali Khalaf Hashem Al-Mousawi
Affiliation:
Al _Razi for boys– Directorate of Education of Maysan
mohalmosoy50@gmail.com

Abstract

This study examines the artistic features of the flash poem (Qasīdat al-Wamḍa) in the modern Iraqi poetic experience, focusing on the analysis of its linguistic and stylistic elements, as well as techniques of suggestion, paradox, and condensation, in addition to the interactive relationship between the poet and the reader. The study indicates that the flash poem represents an extension of modern Arabic poetry, influenced by both Eastern and Western literary forms such as Haiku and Epigram (Epigramma), relying on linguistic

condensation and focusing on a single poetic moment. This gives the text the ability to astonish the reader and stimulate mental interpretation. The Iraqi modern texts, particularly the works of Ahmad Matar, Faraj al-Khattab, and Najah Abdullah, demonstrate the use of paradoxes, semantic shifts, condensed expressions, and surprising conclusions, making the flash poem an independent and distinctive poetic form compared to traditional poetry. The study highlights that this poetic style reflects the social, political, and cultural transformations experienced in Iraq since the 1980s and 1990s, with a particular emphasis on expressing the experiences of individuals and society under conditions of change and upheaval.
Keywords: Flash poem; Modern Iraqi poetry; Artistic features; Linguistic condensation; Paradox; Poetic suggestion

المقدمة:

شهد الشعر العربي الحديث تحولات جذرية انعكست على بنيته وأساليبه، لا سيما في العراق الذي شكلت فيه الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مناخًا خصبًا لتجارب شعرية جديدة. من بين هذه التجارب يبرز أسلوب قصيدة الومضة، الذي يعتمد على التكثيف اللغوي، والاختزال، واللمسات المفاجئة، ليخلق تأثيرًا شعوريًا قويًا في المتلقي. تُعد قصيدة الومضة انعكاسًا لحالة الشعر العراقي الحديث في مواجهته للواقع المتسارع والمتغير، حيث تمثل لحظة انفعال أو شعور محدد، محملة بالرمزية والدلالات المكثفة، بعيدًا عن الإسهاب التقليدي للقصائد الطويلة.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في:
دراسة ظاهرة حديثة في الشعر العراقي لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل النقاد في مرحلة ما بعد التسعينيات.
تسليط الضوء على الخصائص الفنية والتقنيات الأسلوبية التي تميز قصيدة الومضة، مثل التكثيف، المفارقة، والاختزال، ما يساهم في فهم التجربة الشعرية العراقية المعاصرة بشكل أعمق.
تقديم إسهام أكاديمي يربط بين القصيدة العراقية الحديثة وبين أشكال شعرية عالمية مشابهة، مثل الهايكو الياباني والأبيجراما الغربية، مما يوسع مدارك القراءة النقدية.
توفير مرجع للدارسين والمهتمين بالأدب العربي الحديث، خاصة الذين يهتمون بالشعر القصير والأساليب الحداثية في الشعر.

مشكلة البحث:

مع التطور في أشكال الشعر العراقي الحديث وظهور أساليب مبتكرة، مثل قصيدة الومضة، برزت المشكلة الرئيسية في:

1. غياب دراسات متعمقة تحدد الخصائص الفنية لقصيدة الومضة في الشعر العراقي.
2. عدم وضوح الدور الذي تلعبه هذه القصيدة في إيصال المعنى الشعوري والفكري المكثف للقارئ.
3. الحاجة إلى تأصيل هذا النمط الشعري ضمن السياق الأدبي العراقي الحديث وربطه بالتجارب العالمية المشابهة.

أهداف البحث:

- تحليل الخصائص الفنية والأسلوبية لقصيدة الومضة في الشعر العراقي الحديث.
- استكشاف التقنيات الأدبية المستخدمة في هذا النمط الشعري، مثل التكثيف، الإيجاز، والمفارقة.

- إبراز تجربة الشعراء العراقيين الذين اعتمدوا هذا الأسلوب، مثل أحمد مطر، جواد الحطاب، والشاعرات مثل نجاة عبد الله وغرام الربيعي.
- دراسة صلة قصيدة الومضة بالتجارب الشعرية العالمية مثل الهايكو الياباني والأبيجراما الغربية لتحديد مدى تأثر الشعر العراقي بها.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، حيث يتم:

1. جمع النصوص الشعرية التي تتضمن قصيدة الومضة من دواوين الشعراء العراقيين الحديثين.
2. تحليلها أسلوبياً وفنياً لتحديد الخصائص الفنية المميزة، مثل التكثيف، الاختزال، المفارقة، والإيحاء.
3. مقارنة هذه النصوص مع تجارب شعرية عالمية مشابهة لفهم أبعاد التأثير الفني والثقافي.
4. الاستفادة من الدراسات النقدية السابقة لتأطير النتائج وربطها بالخطاب النقدي العربي الحديث.

الومضة

عند مناقشة أي مصطلح لا بُدّ من توضيح معناه اللغوي والاصطلاحي ليكتسب وضوحه ويُفهم في أبعاده المختلفة. أما من الناحية اللغوية، فالومضة تعني: ومض البرق وغيره يمض ومضا وومضاناً، وتوماض، أي لمع لمعاً خفياً ولم يتعرض في نواحي الغيم (ابن منظور، 1999،ص408)

مصطلح الومضة مشتق من مادة و ض م وقد ورد في المعاجم اللغوية على أنه يدل على لمعان البرق وصفاء الضوء، ويشير إلى ما يظهر فجأة ويختفي بسرعة. فقد جاء في تعريفها:

"الومضة بمعناها اللغوي: لمعان البرق، وكل شيء يظهر بلون البرق، أو يتألق بعين واحدة إذا برق"

كما ذكر ابن منظور في لسان العرب: " ومض البرق، وغيره يمض وميًا، أي لمع لمعانًا خفيًا"(ابن منظور،494،1997)

وفي معجم المحيط للفيروز أبادي" :البرق يمض وميًا، ولمع خفيف في نواحي الغيم، وأشار إشارة خفية" (ابادي، بدون سنة،ص346)

يتضح من هذه التعاريف أن الومضة تتميز باللمعان والكشف والإشارة السريعة (سعدون ، 2012 ، ص319)

قال امرؤ القيس:

أصاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وميضَه كَلمع اليدينِ فِي حَبِيَ مُكلَّل

وأومض البرق إيماضاً كومض، وأما إذا لمع واعترض في نواحي الغيم فهو خفي، ويقال:

وأومض البرقُ ووَمض وأومضت المرأة: سارقتُ النظر ويقال: أو مضت فلانة بعينها إذا برقت

الومضة (اصطلاحاً) مصطلح قصيدة الومضة يُعدّ من المصطلحات التي أثارت جدلاً واسعاً حول تحديد ماهيته بدقة. ويمكن تعريفه بأنه:

(القصيدة البالغة في القصر حتى لتكون الجملة الواحدة قصيدة)) (الشرع ، 1987 ، ص51)

فكأنها ومضة أو برق يقدمه الشاعر. كما يُعرف بأنه :((قصيدة الدفقة الشعورية الواحدة أو حالة واحدة يقوم عليها النص، تتكون من مفردات قليلة وتتسم بالاختزالية)) وهي مجاراة لعصر السرعة، إذ تُعدّ: ((ممارسة شعرية حداثية تقوم على التكثيف الدلالي والفني)) (الفراهيدي وآخرون ، بدون سنة ، ص70)

وعرّفها عز الدين المناصرة بأنها: (قصيدة مكثّفة تتضمن حالة مفارقة شعرية إدهاشية ولها ختام مدهش مفتوح أو قاطع)

وقد تكون القصيدة طويلة إلى حد معين، وتُصبح قصيدة توقيعية إذا التزمت بالكثافة والمفارقة والقفلة المتقنة والمدهشة، وتُعرّف بأنها: ((لحظة أو مشهد أو موقف أو إحساس شعري خاطف يمر في المخيلة أو الذهن يصونه الشاعر بألفاظ قليلة جداً (الاقتصار اللغوي) ولكنها محملة بدلالات كثيرة، وتكون الصياغة مضغوطة إلى حد الانفجار)) (أحمد ، 2016 ، ص27)

مصطلح قصيدة الومضة أثار نقاشات عديدة حول تحديد ماهيته وتاريخ استعماله. يمكن تعريفه اصطلاحيًا بأنه قصيدة بالغة في القصر، حتى يمكن أن تكون الجملة الواحدة قصيدة كاملة.
تبدو قصيدة الومضة كوميض من قبس الشعر، فهي تعبر عن حالة شعورية واحدة أو تجربة محددة، تتكون من عدد قليل من المفردات وتتميز بالاختزال. وتمثل هذه القصيدة تجربة حديثة للقصيدة العمودية والقصيدة الحرة، مجايرة لعصر السرعة في حياة الإنسان المعاصر (بعلي ، 2005 ، ص13)
ولقد اهتم النقاد العرب بهذا النمط الشعري نظرًا لخصائصه الفنية والأدبية، مثل :الإدهاش، التكثيف، الإيجاز، قوة الإيحاء، النزوع نحو الخاتمة المفاجئة، وهو ما يميزه عن القصيدة الطويلة التقليدية
يتمثل جمال قصيدة الومضة في الوميض السريع أو البرق اللحظي، فهي لقطات شعرية مفاجئة يلتقطها الخيال من الواقع بأسلوب متقن، وتجمع بين العاطفة والفكرة والدهشة .
باختصار، قصيدة الومضة هي نمط شعري جديد يعتمد على التكثيف اللغوي، وضغط المعاني في عدد قليل من الكلمات، مع تجنب الإسهاب والتطويل، مع التركيز على اللغة الشعرية والفكرة الشعرية
كما يرى بعض النقاد أن قصيدة الومضة تعبر عن تجربة قوية مرتبطة بالواقع، بلغة تختزل التجربة في أقل عدد من الكلمات مع سعة الدلالات، مما يجعلها قصيرة ومكثفة وقادرة على خلق تأثير مفاجئ في المتلقي
تعد الومضة الشعرية أداة فنية تمكن الشاعر من إيصال المعنى من خلال المفارقات والإيحاءات المكثفة، دون الحاجة إلى التصريح المباشر، وهو ما يتيح لها استخدامات متنوعة في الشعر الحديث والمعاصر (موسى ، 2005 ، ص8)

كما تعتبر: ((شكل شعري وأسلوب بنائي)) وقد أولى كثير من النقاد والباحثين العرب اهتماماً بهذا الشكل في العصر الحديث، لا سيما بعد لجوء الشعراء إلى نظم هذا النمط الجديد الذي يتميز بعدة خصائص وتقنيات أسلوبية مثل:

- الإدهاش والتكثيف والإيجاز في قوة الإيحاء
- النزوع نحو الختام السريع المفاجئ
- وغيرها من التقنيات التي تميّزه عن القصيدة الطويلة

وقصيدة الومضة تُعدّ: ((تأثيراً نابعاً من محاولة الشاعر اكتناز أكبر عدد من الدلالات ضمن إطار ضيق وكلمات أقل)) (الحراشة ، 2004 ، ص4)
وهي وسيلة القناع التي يتخذها شعراء العصر، وقد ظهرت هذه القصيدة في مقابل القصيدة الطويلة ذات المقاطع المتعددة. وقد تبنّاها العديد من الشعراء العرب، وفرضتها الحياة المعاصرة المتسمة بالسرعة والتطور، فكان التكثيف اللغوي والاقتصاد في التعبير لتوصيل الرسالة الشعرية بأقل عدد من الكلمات، وهي السمة الأدبية المصاحبة لهذا التحول، كما هو الحال في القصيدة القصيرة جداً . (دروبي وجرار ، 2000 ، ص23)

قصيدة الومضة في النقد الحديث

لكل فن من فنون الأدب جذور تتطور بتأثير التحولات الاجتماعية، وإذا أمعنا النظر في كتب الأدب العربي نجد نمطاً شعرياً يتقارب مع قصيدة الومضة، ويعرف أحياناً باسم "قصيدة التوقعية"، وكان رائد هذا النمط الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة. ويرى بعض النقاد أن لهذا الفن صلة بفن التوقعيات الذي ظهر في العصر العباسي، وهو عبارة عن تعليق موجز يكتب أسفل الرسائل المرسلة إلى ديوان الحاكم أو على ظهرها، يتضمن رداً مناسباً على مضمون هذه الرسائل، فتكون التوقعية جواباً على الرسائل المرفوعة للخليفة أو الرئيس ليعمل بمقتضاه (دروبي وجرار ، 2001 ، ص390)
وقد كانت هذه التوقيعات في البداية مقصورة على علية القوم من الخلفاء والأمراء، ثم توسعت شيئاً فشيئاً ليعهد بها إلى الكتّاب وأعوانهم مع حرصهم على اختيار الأكفاء من الكتاب لهذه المهمة، وكان من بينهم الشعراء الذين كانت تصلهم الرقاع فيوقعون عليها شعراً (العرب ، بدون سنة ،ص4) ومن نماذج توقيعات الشعراء توقيع الصاحب بن عباد على رقعة رفعها له شاعر يمدحه، حيث كان البيت المنقول إلى المرسل يُوقّع عليه الصاحب بقوله (المناصرة ،2013، ص16)

سرقتَ شعريَ وغيري يُضامُ فيه ويُخدعُ

فسوف أجزيك صفعاً يكدُّ ليتا وأخْدعْ
فسَارق المالُ يُقْطعُ وسارقُ الشعرِ يُصفعْ

بلغت عناية الخلفاء العباسيين بهذا الفن حدّ إنشاء ديوان خاص به يُسمّى "ديوان التوقيعات"، لتنظيم شؤونه وترسيخ قواعده والاهتمام بإعلامه (مطلوب ، 2001، 116)ولعل أول من أطلق على هذا الفن الشعري اسم "قصيدة التوقعية" هو الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة في العصر الحديث (مطلوب ،المصدرة نفسه ،ص132)

وإذا كان للتوقيعات صلة مباشرة بالشكل الشعري الأقرب إلى قصيدة الومضة/التوقعية، فقد ظهرت أشكال شعرية أخرى أطلقت عليها مسميات متعددة، منها:

1. الأوابد :وهي الأبيات السائدة كالامثال لجودتها، وأكثر ما تُستعمل في الهجاء (مطلوب ، المصدر نفسه ، ص399)
2. البيت النادر :وهو البيت الفريد الذي يجري مجرى المثل الشوك وحسين ، 1986، ص11)
3. المقطعات :وهي القصائد القصار أو الأبيات الشعرية القليلة (كمال الدين ، 1974 ، ص184)

يبدو أنَّ هذا الفن قد نشأ منقوشاً على الأحجار (كمال الدين ، المصدر نفسه ، 185)ويُعَدّ هذا الوعي بداية لتحولات فكرية وفنية في الشعرية العربية خلال بدايات القرن العشرين، وقد تبناه بعض الشعراء الحداثيين. وساعدت بعض الظروف الاجتماعية والسياسية على ولادة هذه الفنون أو محاولة تبنيها، فغياب الحرية الفكرية وتقيد حرية الرأي كان سبباً رئيسياً في ظهور قصيدة الومضة، إذ من خلالها ((يعبر الشعراء عن تذمرهم من أوضاع بلادهم وعن أملهم في بعث جديد ينتشلها من الموت)) (بدور ، 2002 ، ص14) إضافة إلى ذلك، تلعب طبيعة الحياة والضغط النفسي الذي يتعرض له الفرد في مجتمعه دوراً في صوغ هذه القصائد، لتصبح وسيلة لإيصال رسائل احتجاج أشبه باللافتات (حجو ، 2002 ، ص25).

ومع هذا الواقع، ومع تطور الحياة وتعقيداتها، ((انطلق الشعراء في رحلة البحث مرة أخرى في محاولة للتجديد الشعري، وهذا التجديد لم يأتِ لمجرد الرغبة في التجديد، بل لأنّ الحياة الجديدة التي تكرّس مبدأ الاقتصاد في كل شيء تطلبت شعراً جديداً... شعراً مختلفاً)) (حجو ، 2002 ، ص1)ويعود البدايات الواعية في كتابة هذا الفن الشعري إلى ستينات القرن الماضي، حين سمّى عز الدين المناصرة القصائد القصيرة بـ "توقيعات"، لاعتقاده أن هذا الشكل الشعري يشبه التوقيع في توخي الإيجاز واكتناز العبارة الموجزة بمعنى عميق. وقد ازدهرت هذه النصوص في سبعينات القرن الماضي، حتى استقلت بنفسها وأصبحت شكلاً شعرياً قائماً إلى جانب الأشكال الشعرية المعروفة، رغم بعض الآراء المعارضة.

ويشير بعض النقاد إلى أن ((ليست قضية الومضة غائبة عن الشعر القديم، وذهب معظم النقاد القدماء إلى اكتفاء البيت بذاته، بل حكموا على جودة الشاعر من خلاله، فقالوا عن فلان: إنه أشعر العرب لأنه قائل هذا البيت، وحكموا على الجنس الشعري من خلاله، فقالوا: هذا أمدح بيت شعر، وهذا أهجا بيتاً، وهذا أغزل بيت)) (عباس ، 2006 ، ص326)

إلا أن ذلك يبقى فناً مغايراً لفن الومضة وما تتصف به من سمات، فالشاعر يتبنى هذا اللون الشعري عن وعي ومقصد، ليعبر من خلاله عن صورة من صور الحياة يحاول إبرازها للمتلقي. ولهذا السبب، نجد أن العديد من الشعراء على مستوى الوطن العربي يتبنون هذا اللون الشعري.

يرافق التطور الحضاري تطور في فنون التعبير، فلا تبقى هذه الفنون على حالها، بل تتولد منها أشكال أدبية جديدة، كما حدث مع قصيدة الومضة. فقد كانت هذه القصائد في بداياتها قصيرة، تُكتب أحياناً على القبور، ويمكن من خلال دراسة الآداب الغربية والشرقية تتبع بدايات هذا الفن، ومعرفة مراحل تطوره والشكل الذي كان عليه، ثم التأمل في أثر هذه النماذج على الشعرية العربية وما استفاد منه الشعراء مع بدء مرحلة الحداثة الشعرية

وقد تأثر الشعراء ابتداءً من ثمانينات القرن الماضي ((بالمقطعات الشعرية الإنجليزية القصيرة جداً، خاصة استخدامات البيوت الشعرية، وفي النثر تأثروا بالحركة الأدبية التي برزت في الولايات المتحدة ودعت إلى كتابة "مختصر لحياة مختصرة")) (نوفل ، 2004 ، ص31)

وقد تأثرت قصيدة الومضة، أو ما يُعرف بأسماء متعددة، بالتحوّل الشكلي في الأدب، وبالتجريب الفني وتداخل الأجناس، فأصبحت تحاكي فن القصة القصيرة في السرد. كما عكست هذه القصيدة فنوناً غربية وشرقية قديمة وحديثة، ومنها:

1. الأفوغرام :(Epigram) وهي ((قصيدة قصيرة تُعبر عن فكرة أو خاطرة بإحكام وسخرية)) وظهر هذا النوع عند اليونان، وتسمى بتميزه بالإيجاز والتكثيف، والظرف، والدعابة، والسخرية. ويعني مصطلح "أفوغرام" النقش الذي يدل على صلة، وكان أول استخدام له على الشواهد (كوليرج ، 1971 ، ص125) في البداية، كان الأفوغرام مرتبطاً بطول محدد فرضته مساحة الشاهد، ثم بدأ الشعراء في استخدامه للتعبير عن مواضيع مختلفة مثل الهجاء والرثاء والغزل وشعر الحكمة والأمثال السائدة ومن أشهر شعراء الأفوغرام اليونانيين: "كالماخوس" من القرن الثالث قبل الميلاد.

بعد ذلك، انتقل الأفوغرام من الأدبين اليوناني والروماني إلى الأدب الإنجليزي والفرنسي والألماني، فتفنن فيه الشعراء على وجوه متعددة، مع الاحتفاظ بقصره النسبي ووحدته في السخرية، وكان ازدهاره في إنجلترا في القرنين السابع عشر والثامن عشر (الجيوسي ، 2007 ، ص569)

ويعرّف يوسف نوفل الأبيجراما بأنها نص قصير، مركز العبارة، مكثف المعنى، مستعار من القصة القصيرة جداً: الومضة الخاطفة، مع اختصار لخطة التنوير بالاعتماد غالباً على الرموز والمفارقة، واختيار اللفظ الدال والعبارة الدقيقة التي تكون كالنص المرهف (الشعر ، بدون سنة ، ص126)

وهي ((شكل أدبي، شعر أو نثر، يتميز بالتركيز والتكثيف ووحدانية الفكرة التي تطرحها المقطوعة الواحدة، وقد يعتمد على لغة المفارقة وبنية التضاد، سواء على مستوى الألفاظ أم المعاني، وغالباً ما ينتهي بنوع من أنواع المفاجأة والإدهاش، وتتنوّع موضوعاته بين النقد الاجتماعي والسياسي، وقد تأتي الأبيجراما الواحدة كبنية مستقلة أو داخل بنية أكبر تمثل أحد مكوناتها)) (طالبان ، 2016 ، ص5)

ويرى الشاعر الإنجليزي صامويل كوليردج أنها ((كيان مكتمل وصغير، جسّد الإيجاز وروحه المفارقة، وهكذا تطورت الأبيجراما من مجرد نقش حتى صارت نوعاً أدبياً له خصوصية)) أي أن تلك الخصوصية تتمثل في الترابط والتكامل بين عناصر النص لتشكل ذلك الكيان، ورغم صغره، إلا أنه مكتمل وفق رؤية كوليردج (عظيمة ، 2016 ، ص17)

الهايكو : الهايكو هو شكل شعري ياباني قديم يمتد بجذوره في التاريخ الحضاري لليابان. ويتكون اسم "الهايكو" من مقطعين:

- المقطع الأول :هاي، ويشير إلى المعاينة الأولية التي وُضعت لأجل المتعة والإمتاع، والضحك والإضحاك، أي لتغيير المظهر الخارجي وتسلي الآخرين عبر التمثيل.
- المقطع الثاني :كو، ويعني لفظاً أو كلمة أو عبارة. وإذا تُرجم حرفياً، فإن المعنى يكون: ((عبارة أو كلمة ممتعة مسلية)) وعند دراسة تطور دلالة هذا اللفظ التاريخي وانحرافاته، والحالات التي سلكها، يصل المعنى إلى ما يمكن تسميته بـ"حسن الطرافة" بشكل جدي، أي المزاجية الظريفة والعبثية المسلية (الدوري ، 2018 ، ص10)

يتكون الهايكو من ثلاثة أسطر، يبلغ مجموع مقاطعها الصوتية سبعة عشر مقطعاً: خمسة مقاطع في السطر الأول، وسبعة في الثاني، وخمسة في الثالث. وتنطوي هذه الأبيات على صور طبيعية، فقد كان شعراء الهايكو يركزون على الطيور، الزهور، الأشجار، طلوع ومغيب الشمس، القمر، والحب. أما الذين عاشوا ظروف حياة صعبة، فكانوا مجبرين على مواجهة قسوة الطبيعة عبر هذا الشعر (الأخرى ، بدون سنة ، ص9)

ويُعد الشاعر ماتسو باشو الأب الروحي لشعر الهايكو في اليابان، حيث بلور شكله المتكامل. ويركز الشاعر "بيسون" على المواضيع المتعلقة بالإنسان والطبيعة، بينما يُشتهر "إما إيلسا" بتوحده الطفولي مع الطبيعة والبشر(الصهبلي ، بدون سنة ، ص478)

ويعود أصل هذا الفن إلى القرن السابع عشر على أيدي البوذيين، ويُعتقد أن جذور الهايكو تمتد إلى القرن الثامن، عندما كان أشعار التانكا هي الشكل الشعري السائد، فظهرت حينها أشكال تُعرف بالرينغا، التي امتدت من القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر (طه ، 2014 ، ص100) وفي القرن التاسع عشر، قام ماتسو باشو بتأسيس الملامح الأولى للهايكو، فصار البيت الافتتاحي أو المصلحي، أو ما يُسمى بالهايكو، شكلاً شعرياً مستقلاً بذاته (المزدي ، بدون سنة ، ص85_86)

أثر هذين الفنين – الأبيجراما في الغرب والهايكو في الشرق – في نشوء قصيدة الومضة، إلى جانب بروز القصة القصيرة في السرد. كل هذه الأشكال الفنية كانت تمهيداً لظهور لون جديد في الشعر، وهو قصيدة الومضة.

قصيدة الومضة في الشعر العراقي الحديث

القصيدة الومضة هي أسلوب شعري حاز على اهتمام عدد كبير من النقاد والباحثين العرب في العصر الحديث، لما تتميز به من خصائص وأساليب فنية، مثل الإيجاز، التكثيف، الإدهاش، قوة الإيماء، والختام المبهر، فضلاً عن غنائيتها الذاتية التي تعكس حالة شعورية واحدة غير متشظية، تتركز في عمق الفكرة واندهاشها، مع الاعتماد أحياناً على المفاجأة والمفارقة، ما يمنح النص تلك الإيماضة التي تختزل أكبر قدر من العاطفة الذاتية في أقل قدر ممكن من الكلمات (الموسى ، 2005 ، ص8)

سمات ولغة قصيدة الومضة

تتطلب لغة قصيدة الومضة توافر عدد من السمات الأساسية، أبرزها القصد والتركيز والتكثيف، إذ تتميز هذه اللغة بالسرعة واللمعان كما في طبيعة الومضة. ويجب أن تكون اللغة المستخدمة لغة متاحة للقارئ، لكنها ليست مجرد لغة يومية اعتيادية، بل لغة تتجاوز المفردات التقليدية لتستبدلها بتعابير جديدة تتسم بالشفافية والدلالة المكثفة .فاللغة في قصيدة الومضة لا تقتصر على معناها القاموسي المباشر، بل تتحول إلى تعبير شكلي مميز يغلب عليه البعد الشعوري والتجريبي، ويعكس التمرد والرفض والمعاناة.(غراب ، موقع الكتروني)
يرى شعراء الومضة أن اللغة تمثل هاجسًا شعوريًا وفنيًا يسعون من خلاله إلى تحقيق تآلف بين التركيب اللغوي ومستوى الدلالة والإشارات الملفوظية، التي تتوهج داخل النص عبر النظام الإيقاعي الموسيقي المتجانس .تتشابك فيه الكلمات وأفعالها وأسماؤها وحروفها ولواحقها، بحيث يكون النص الداخلي متكاملًا لإحداث إدهاش المتلقي، من خلال مفارقات وإيماضات واهتمام بالتوقيع الفني للنص.
من أبرز سمات قصيدة الومضة أنها تتجاوز النص اللغوي العادي، لتصبح نصًا ضمن أنساق متكاملة، حيث يتطلب من القارئ الانتقال من مستوى الرؤية إلى مستوى الرؤيا .فهي تركز على فكرة شعرية محددة، وتعمل على تنميتها في بناء شعري خاطف ومفارق، يختلف عن الجملة التقليدية في الشعر، فيرتقي الشاعر باللغة إلى مستوى دلالي عالٍ، وعند استيعاب المتلقي لجوهر النص، تتحقق المتعة الفنية.
هكذا، تصبح الومضة عالماً شعريًا ضيق العبارة واسع الرؤى، حيث تتسم عبارتها بالاختزال العميق، وتقدّم رؤية فريدة للواقع بطريقة مبتكرة. ويعتمد هذا الفن على التأويل وفهم الدلالات المخفية، مع إمكانية أن تأتي نهاية القصيدة مخالفة لبدايتها، تطبيقًا لمبدأ المفاجأة الأسلوبية والمفارقة، وإظهار تكامل الأضداد.
وتنبثق قصيدة الومضة من خصائص الومضة نفسها، فهي تقوم على الخيال المتوقد، والحساسية المرهفة، والابتعاد عن الحشو، والاختيار الدقيق للفظ والصورة، مع قدرة قوية على التأثير في المتلقي، وإحداث المفاجأة، وتحقيق وحدة عضوية من الجمل القصيرة المكثفة جدًا .ومن هذا المنطلق، تمثل الومضة جسرًا للتواصل بين المبدع والمتلقي، حيث يحاكي الشاعر ذكاء القارئ في كشف الدلالة الكامنة وراء ومضاته، فلا يقتصر دور الشاعر على كتابة النص، بل يمتد إلى المتلقي، فيحرك فطنته وذكاءه، ويثير فيه التأمل في ما لم يُقال صراحة داخل النص.

كتب عدد من الشعراء العراقيين في هذا النمط الشعري بعد تسعينيات القرن الماضي، في توجه مغاير لما كان سائداً في ثمانينيات القرن الماضي من نص مفتوح وقصائد طويلة. ومن خلال الاطلاع على هذه النصوص، يمكن الوقوف على نماذج تعكس التوجه الجديد في كتابة القصيدة تُعدّ قصيدة الومضة حديثًا من أبرز التجارب الشعرية التي تتسم بالنزعة البالغية في التعبير، حيث تعتمد على تقنيات متعددة مثل الانزياح، والإيحاء، والتكثيف اللوني، واستنطاق رموز الطبيعة وصورها. إنها صورة شعرية ذات إشعاع قوي، إذ تُلتقط اللحظة الشعرية في ذروتها، حاملة معها إثارة مفاجئة في الشعور وانبهارًا بصريًا يكشف عن جزئيات ذهنية دقيقة، قد تكون ناقدة أو ساخرة أو تهكمية.
ومن السمات المميزة لهذه الشعرية أيضًا استخدام عالمات الترقيم والبياض النصي، ما يمنح النص أبعادًا ودلالات متعددة ويتيح للمتلقي فرصًا لتأويل النص بشكل متنوع.

من أبرز الأمثلة في هذا الاتجاه شعر أحمد مطر، الذي تتسم قصائده بالكتابة المكثفة، فهي تمثل آخر مستجدات الساحة الشعرية المعاصرة في أواخر القرن العشرين، لما تتصف به من قصر قامتها اللغوي، وامتلائها بالرمزية، وكثافة الدلالة (مطر ، 2011، ص15)

يمكننا الإشارة إلى أنَّ هناك قصائد عربية قصيرة في الخطاب، تشبه من حيث الطابع قصيدة الومضة الحديثة، إذ لم يعرف العرب في تاريخهم القديم ما يُسمى بالقصيدة القصيرة المقتضبة كما نعرفها اليوم. فقد كانت الإبداعات العربية القديمة غالبًا ما تقتصر على بضع أبيات قليلة تتوافق مع طبيعة حياة العرب البسيطة، وهو ما أتاح لبعض الدارسين الاستناد إلى هذه الأشكال لتتبع بدايات نمط القصائد المقتضبة في الشعر العربي القديم. (مطر ، المصدر نفسه ، ص239)

قصيدة "خطاب تاريخي (مطر ، المصدر نفسه ، ص239) تحمل تناقضاً بين العنوان والمحتوى، إذ يوحي العنوان بنص طويل، بينما يقدم النص لغة قصيرة تثير الإندهاش وتحدث نقلة فجائية لدى المتلقي. ويستمر هذا الأسلوب في قصائد أحمد مطر، بدءاً من ترتيب الكلمات والجمل، إلى خلق الغرابة وتعطيل التوقعات الواقعية.

مثال آخر من قصيدة "المنشق" لأحمد مطر:

أكثَرُ الأشياءِ في بَلدَتِنا
الأحزابُ
والفَقْرُ
وحالاتُ الطّلاقِ .
عِندَنا عشرَةُ أحزابٍ ونِصفُ الحِزبِ
في كُلِّ زُقاقِ !
كُلُّها يسعى إلى نبْذِ الشِّقاقِ !
كُلّها يَنشَقُّ في السّاعةِ شَقّينِ
ويَنشَقُّ على الشَّقّينِ شَقّانِ
وَيَنشقّانِ عن شَقّيهما ..
من أجلِ تحقيقِ الوِفاقِ !
جَمَراتٌ تَتَهاوى شَرَراً
والبَرْدُ باقِ

يبين هذا البناء الشعري اعتماد المتناقضات والمفارقات، وخلخلة نظام البناء التقليدي للخبر والمبتدأ، ليحدث صدمة وتأثيراً شعورياً لدى القارئ (حطاب واليوسفي ، 1998، ص22)

يمثل هذا البناء الأسلوب السائد في أغلب قصائد أحمد مطر، فهو يعرض صوراً شعورية مباشرة، تُشبه لافتات الاحتجاج السياسي والاجتماعي. ففي قصيدة "أنا إرهابي"، يبرز التناقض بين الواقع والفكرة المطروحة، إذ يقول (يونس،2011،ص20)

الغرب يبكي خيفةً
إذا صنعتُ لعبةً
من علبة الثقاب
والغرب يرتاعُ إذا
عبدتُ ربّاً واحداً
في هدأت المحراب

يعكس هذا النص استخدام المفارقات والتركيب الشعري لإحداث المفاجأة وإدهاش القارئ، مع تفكيك الصور النمطية عن الغرب والشرق في طرح ساخر.

ولا يقتصر استخدام قصيدة الومضة على شاعر واحد، فقد أصبحت سمة عصرية منذ تسعينيات القرن الماضي. ومن بين الشعراء الذين تبنوا هذا الأسلوب: فرج الخَطّاب وعباس اليوسفي، الذين جمعوا بدايات هذه التجربة في كتاب

بعنوان "الشعر العراقي الآن (يونس ، المصدر نفسه ، ص22)ومن نصوص الكتاب، قصيدة "تغيير" للشاعر سليمان جوني:

في مَامَضَى
كنتُ أرى أمي زقورةً
وأبي هرماً
وإخوتي رياضيات
أو
وعند ما أكلتني الحرب بفمها الأدرد
تغير كل شيء
أمي صارت مقبرة
وأبي مدفعاً
وإخوتي مصائد مخفلين

مع أن هذه التجارب كانت في بدايتها، إلا أنها تعكس التحول في بناء القصيدة العراقية، واهتمامها بالمفارقة، وإن كانت بسيطة مقارنةً بما قدمه أحمد مطر. وفي دواوين التسعينيات وما بعد الألفية، نجد أن غالبية القصائد تنتمي إلى أسلوب القصيدة الومضة، حيث تعكس خفقات شعورية مركزة.

فعلى سبيل المثال، ديوان الشاعر حسين علي يونس "خزائن الليل" (بيانو والحطاب ،2008 ، ص35)، تتضمن قصائد قصيرة تحمل سمات الومضة، مثل قصيدته "صفقة:"

على ضفاف دجلة،
رسمتُ سرباً من السنين

وفي قصيدة "هذا كل ما يستفزني(عبد الله ، 1996، ص1) نجد التكثيف والمفارقة:

تعلّم لغة أجنبية،
وكتابة قصيدة واضحة عن الوطن

حيث يشير النص إلى أن الوطن لا يحتاج لغة أجنبية للتعبير عنه، ويعكس واقعاً تغيرت فيه الحقائق بفعل ظروف الحرب والحصار.

ومن النصوص التي يمكن إدراجها ضمن خانة قصيدة الومضة ما ورد في ديوان جواد الحطّاب *إكليل موسيقى على جثة بيانو*، ففي قصيدته "أحد عشر كوكباً" يقول:

جئنَا...
نغسل أنفسنا
بالنسيان
فأصيب النسيان...
بداءِ الذكرىٰ

إذا أجرينا حسابًا لعدد كلمات النص، نجد ثماني كلمات تدور فكرتها حول النسيان، إلا أن المفارقة تجعل من النسيان ذكرًا، ما يعكس التكثيف والازدواجية في المعنى. كما يتضمن هذا الديوان عدة انزياحات، وهذا يظهر في عنوان الديوان ذاته *إكليل موسيقى على جثة بيانو*، حيث يطرح التساؤل حول التوافق بين الموسيقى والبيانو العاطل، في ظل صياغة عنوان تثير الإدهاش والتفكير(حجو ، موقع الالكتروني)

ولا يقتصر هذا الأسلوب على الشعراء الرجال، بل امتد ليشمل الشاعرات العراقيات اللواتي استفدن من هذا التوجه الشعري المعاصر. ومن أبرزهن الشاعرة نجاة عبدالله، التي كشفت دواوينها عن لمسات أنثوية مكثفة، تعبّر عن أفكارها ومشاعرها عبر سطور قصيرة تختزل ما يسكن قلبها وخيالها من أحلام وآمال. ففي ومضتها الساحرة من حلم أول، تقول

ثمة ما ينكسر دائماً
المرايا... لأنها لا تشبه الأشجار
والقلوبُ... دون أن تصطدم بحجر ساخن

هنا تعقد الشاعرة مقارنة بين المرايا والقلوب، وتربطهما بصفة الانكسار، لتبرز رقة القلوب أكثر من المرايا في التعاطي مع المشاعر. وتكشف هذه الفكرة المكثفة عن الرقة المتناهية في قلب المرأة، المفتوح للحب والسلام

كما استثمرت الشاعرة غرام الربيعي قصيدة الومضة للتعبير عن إحساسها العميق في ديوان *قلق النوافذ*. ففي هذه النصوص، تظهر لحظات التوتر والوجع النفسي عبر لغة مكثفة ومحملة بالدلالات، كما في النص التالي

ضوء راودني
لنوافذ ترمقني
لا شيء أسدله
إلا وجعي

اللغة المكثفة هنا تعكس الأحاسيس والمشاعر، وتختم بمفارقة تثير التساؤل لدى القارئ. ويعود انتشار هذا التوجه في الكتابة إلى أسباب عدة، أبرزها النفور من النصوص الطويلة والمفتوحة، وسرعة التحولات في الواقع، ما أدى إلى ابتعاد الذائقة القرائية عن الشعر التقليدي، خاصة مع انتشار وسائل الإعلام والسينما والصحف والمجلات، وظهور الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي

الخاتمة:

لقد أظهرت الدراسة أن قصيدة الومضة تمثل أحد أبرز أشكال التجريب الشعري في العراق الحديث، حيث تعكس التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي مر بها المجتمع العراقي منذ نهاية القرن العشرين. يعتمد هذا الأسلوب على التكثيف اللغوي والاختزال الأسلوبي، مع التركيز على المشهد الشعوري الواحد، ما يجعل النص الشعري مكثفًا، متفجرًا بالدلالات، وقادرًا على إدهاش القارئ وإحداث أثر شعوري وفكري فوري. وتشير هذه الدراسة إلى أن الشعر العراقي المعاصر استطاع من خلال قصيدة الومضة تجاوز قيود النصوص الطويلة التقليدية، ليواكب أسلوب الحياة الحديثة وتسارع وتيرة الأحداث، ويقدم تجربة شعرية جديدة تمزج بين التقاليد الأدبية العربية والاتجاهات الشعرية العالمية، مثل الهايكو والأبيجراما.

الاستنتاجات:

1. قصيدة الومضة تقوم على التكثيف اللغوي، والاقتصاد في الكلمات، والاعتماد على الرمزية والمفارقة لتحقيق أقصى تأثير شعوري.
2. التجربة الشعرية العراقية الحديثة استفادت من التوجهات العالمية في الشعر القصير، مثل الهايكو الياباني والأبيجراما الغربية، مع إضافة بعد وطني وتجربة محلية.
3. الشعراء العراقيون، رجالاً ونساءً، استخدموا قصيدة الومضة كأداة للتعبير عن الأحداث الاجتماعية والسياسية والنفسية، بما يعكس الواقع العراقي المعاصر.
4. أبرز خصائص هذه القصيدة تتجلى في: الإيجاز، التركيز على فكرة واحدة أو شعور واحد، المفاجأة، المفارقة، واستخدام بياض النص وعلامات الترقيم لتوسيع دلالات النص.
5. قصيدة الومضة تفتح المجال لتأويل متعدد من قبل القارئ، بما يجعلها أكثر حيوية ومرونة مقارنة بالقصائد الطويلة التقليدية.

التوصيات:

1. تشجيع الدارسين والباحثين في الأدب العربي على دراسة أشكال القصائد الحديثة ومقارنتها بالتجارب العالمية لتوسيع قاعدة البحث النقدي.

2. تعزيز المناهج التعليمية التي تعرف الطلاب بالشعر الحديث العراقي، وبالأخص الأساليب الجديدة مثل قصيدة الومضة، لتعميق الوعي الأدبي والثقافي.
3. توثيق تجارب الشعراء العراقيين المعاصرين في هذا النمط الشعري، وإصدار دراسات مقارنة بين النصوص العربية والأجنبية القصيرة جدًا.
4. حث الشعراء الشباب على الابتكار والتجريب الشعري من خلال اعتماد أساليب مثل قصيدة الومضة، لمواكبة التطورات الحديثة في الحياة الثقافية والاجتماعية.
5. دراسة تأثير وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي على انتشار القصيدة المكثفة، وما إذا كانت هذه الوسائل تزيد من فعالية النصوص الشعرية القصيرة.

المراجع

عباس، إحسان. (2006) *أوراق مبعثرة: بحوث ودراسات في الثقافة والتاريخ والأدب والنقد الأدبي*)جمع وتعليق عباس عبدالحليم عباس) الأردن: عالم الكتب الحديث.
عبدالله، نجاة. (1996) *قيامة استفهام* .بغداد: مطبعة بغداد.
الديبوان. (بدون تاريخ) أبو الشيص الخزاعي وشعر الومضة. مسترجع من https://www.aldiwan.com
الفيروز أبادي، (بدون تاريخ) *المحيط*)ج2، ط3) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الحطّاب، فرج، واليوسفي، عباس. (1998) *الشعر العراقي الآن*)ط1) بغداد.
المسدي، عبدالسلام. (بدون تاريخ) *الأسلوبية والأسلوب*)ط4) بيروت: دار سعادة الصباح.
الموسى، خليل. (2005) قصيدة الومضة في يمامة الكلام .*الأسبوع الأدبي*، 956، 25. 8–
نوفل، يوسف حسن. (2004) *النص الكلي* .القاهرة: الحياة العامة لقصور الثقافة.
الشرع، علي. (1987) *بنية القصيدة القصيرة في شعر أدونيس* .دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (بدون تاريخ) *العين*)تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مج7) لبنان: دار ومكتبة الهلال.
كوليردج، صامويل. (1971) *النظرية الرومانتيكية في الشعر*)ترجمة عبد الحكيم حسّان) القاهرة: دار المعارف.
دروبي، محمد، وجرار، صلاح. (2000) *التوقيعات الفارسية المعربة* .الأردن: منشورات جامعة آل البيت.
دروبي، محمد، وجرار، صلاح. (2001) *جمهرة توقيعات العرب*)ط1) الإمارات: مركز زايد للتراث والتاريخ.
حجو، فواز. (2002) الومضة الشعرية .*الموقف الأدبي*، 373، 1.مسترجع من https://www.startimes.com
طه حسين، (1986) *جنة الشوك*)ط2) مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
حسين، حسين علي يونس. (2011) *خزائن الليل* .بيروت: منشورات الجمل.
جليل كمال الدين. (1974) *الشعر العربي وروح العصر* .بيروت: دار العلم للملايين.
كريم زكي حسام الدين. (بدون تاريخ) *التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه* .القاهرة: دار الغريب.
طه، رفل حسن. (2014) قصيدة العمود الومضة نحو أسلوب شعري جديد .*مجلة الباحث، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء*، 11(4)، 100. 77–
مطر، أحمد. (2011) *الأعمال الشعرية*)ط1) بيروت: دار الحرية.
طالبان، مسيح. (2016) ظهور وانتشار الهايكو (ترجمة علي مطويات) *مجلة المراد*، السنة الأولى، العدد 3، 15.
المسعودي، س. ك. (2001) *معجم مصطلحات النقد العربي* .بيروت: مكتبة لبنان.
نوارة، ولد أحمد. (2016) أشكال القصيدة الجزائرية في ضوء نظرية الأجناس الأدبية (أطروحة دكتوراه) تيزي وزو، الجزائر: جامعة مولود معمري.
أبو الشيص الخزاعي. (2002) بعض ملامح قصيدة الومضة .*الأسبوع الأدبي*، 824، 14.
الحطّاب، جواد. (2008) *إكليل موسيقى على جثة بيانو* .بيروت: دار الساقي.
الدوري، حمدي حميد. (2018) *شعر الهايكو الياباني وإمكانياته في اللغات الأخرى* .بغداد: دار الإبداع للطباعة والنشر والتوزيع.
الصهبلي، حسن. (1437هـ) *صوت الماء: مختارات لأبرز شعراء الهايكو الياباني* .الرياض: دار الفيصل الثقافية.